

مفهوما الجهر والهمس

بين سيبويه وعلماء الأصوات المحدثين

د. عبد العزيز الصيغ

جامعة حضرموت-كلية التربية

قسم اللغة العربية

توطئة..

يعرف سيبويه المجهور بقوله: (حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت)^(١)، كما يعرف المهموس بقوله: (حرف اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)^(٢).

هذا التعريف اشتمل على ألفاظ لم يجمع على فهم معناها القدماء ولا المحدثون، ولذلك فقد استغلّق هذا التعريف مما جعل القدماء يكررون عباراته في أغلب الأحيان، إلا أن فهمهم للتعريف تفاوت ولم يتفق، فمنهم^(٣) من ركز في معناه على جري النفس، وهو ما يجعل المجهور شبيهاً بالشديد ومنهم^(٤) من لم يأخذ جري النفس وحده.

والعبارات المشكلة هي: (الاعتماد)، و(الموضع)، و(الإشباع)، و(الإضعاف)، ولا شك أن هذه العبارات لوحدها واضحة إلا أنها في سياق التعريف تلتبس التباساً، ولو كان الأمر متصلاً بمثيلات هذه الكلمات عند سيبويه لكان الأمر أسهل، ولكن الأمر ليس كذلك كما سيأتي، كما أن غموض المعنى يتصل بمسألة لم تكن تحت إدراك القدماء، وهو ما لا يختلف اليوم عليه الباحثون^(٥) إلا إذا أخذنا المسألة في إطار الفهم العام، فإن ذلك يمكن أن يسلم به، بمعنى أن سيبويه في هذا التعريف كان يتحدث عن مسألة وهي الجهر ليست من معارف ذلك العصر الميسورة ولذلك فإن القول بأن هذا التعريف يفسر أو يعرف الجهر كما هو معروف الآن قول من الصعب التسليم به، غير أن القول بأن هذا التعريف يوضح الفهم العام للجهر المحس الذي لا يعرف كنهه على وجه التحديد فإن ذلك مقبول.

وهذا يفسر أولاً غموض التعريف، كما أنه يجعل المسألة ثانياً خاضعة للتأويل، غير مقيدة بفهم واحد أكيد كان سيبويه يتحدث عنه.

من أولى الأشياء التي تفرض نفسها هو أن الجهر عند سيبويه لم يكن واضحاً وضوحاً تاماً، بمعنى أن دذببة الوترين الصوتيين لم تكن مفهومة عنده، وهذه مسألة لا شك فيها، وهي أساس يجب الاعتماد عليه.

وعند الوقوف أمام هذا التعريف فإن الدراسة تقتضي منا أن نفسر أولاً كلام سيبويه بكلامه، ثم نفسره بكلام القدماء، ثم نفسره بكلام المحدثين، ثم نصل إلى ما يكون خلاصة لهذه التفسيرات كلها.

الاعتماد...

هي أولى الكلمات التي اشكلت في تعريف سيبويه، وهي أكثرها غموضاً وانبهاً، وقد ورد عن سيبويه استعماله لهذه الكلمة في غير التعريف مما يمكن أن يوضح معناها.

يقول سيبويه: (النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة)^(٦) وأهمية هذه العبارة أنها جاءت مباشرة بعد التعريف إيضاحاً له، وهي تلقي ضوءاً على الكلمة، فالاعتماد إذن لا يكون في أسفل الحلق، مما يعني أن تفسير الاعتماد بضغط الهواء على الوترين الصوتيين ليس مراداً عند سيبويه، لأنه لو كان مراداً لكان ذلك مشمولاً به جميع الأصوات المجهورة، أما وإن الاعتماد في الفم وفي الخياشيم أيضاً، فإن ذلك يعني أن الاعتماد يكون في مواضع متعددة، وهذه مسألة واضحة يمكن أن تكون أساساً يتوصل به إلى معنى التعريف.

وقد جاء عن المبرد قوله: (تأويل قولنا مدغم أنه لا حركة تفصل بينهما، وإنما تعتمد لهما اللسان اعتماده واحدة)^(٧) والمبرد هنا يستعمل كلمة الاعتماد بمعنى أن اللسان يتصل بموضع آخر لنطق الصوت المدغم، إلا أننا يمكن أن نفيد من معنى الاعتماد في هذا النص أنه: (جعل اللسان في موضعه من مخرج الحرف)^(٨) وهو في ذلك يتفق مع سيبويه في النص السابق، مما يبعد المعنى المراد عند المحدثين، إذ ليس للسان سلطان على جهر الأصوات إلا أن يكون مؤثراً في مرور الصوت في الفم.

ويعرف الزمخشري المجهور تعريفاً يغير فيه عبارة سيبويه، وهو تغيير يدل على أنه فهم الاعتماد فهماً خاصاً، إذ يقول: (الجهر إشباع الاعتماد في مخرج الحرف ومنع النفس أن يجري معه)^(٩) ولا شك أن تغيير الزمخشري لعبارة سيبويه إرادة منه لإيضاح المعنى الذي استقر لديه، وإلا لأسند العبارة لسيبويه، ولو صح هذا القول لفهم منه أن الاعتماد يكون على المخرج، وإذا كان الاعتماد على المخرج فإن ذلك يجعل المسألة أوضح وأيسر.

وكلام الزمخشري هذا نجد له سنداً من قول سيبويه المتقدم الذي جعل الاعتماد في الفهم والخيال.

ولا نجد عند ابن يعيش شارح كلام الزمخشري ما يشير إلى أنه يخالف الزمخشري في القول بأن الاعتماد يكون على المخرج بل هو يؤيد ذلك، إلا أنه يجعل الاعتماد سبباً في إخراج الأصوات الشديدة كذلك، وليس مقصوداً على الأصوات المجهورة في حديثه عن الفرق بين المجهور والمهموس، وكأنه أحس تداخلاً بين المعنيين حيث يقول: (الفرق بين المجهورة والشديدة أن المجهورة يقوى الاعتماد عليها والشديدة يشدد الاعتماد عليها بلزومها موضعها لا بشدة الوقع، وهو ما ذكرناه من الضغط، ألا ترى أن الذال والظاء مجهورتان غير مضغوطتين)^(١٠)، والقول بأن الشديدة يشدد الاعتماد عليها، يؤكد أيضاً المعنى الذي ورد عند سيبويه والمبرد والزمخشري من أنه يكون على المخرج إلا أن ابن يعيش دون غيره جعله شاملاً للشديد والمجهور معاً.

وإذا أضفنا إلى ما تقدم أن ابن الحاجب هو أيضاً يصرح بأن الاعتماد يكون على مخرج الحرف حيث يقول: (وبين معنى الجهر بما ذكره من إشباع الاعتماد به من مخرج الحرف ومنع النفس أن يجري معه)^(١١)، نجد أن الراجح عندنا في كلام سيبويه أن الاعتماد يكون على المخرج أو في المخرج، والاعتماد هو الضغط وسوف يتضح ذلك في الصفحات الآتية.

أما المحدثون فقد ربط جماعة منهم ربطاً وثيقاً بين التعريف والمعنى المعروف للجهر في هذا العصر، ولذلك فإن مهمة هؤلاء كانت أسهل وأخف.

ويعد إبراهيم أنيس أول من وقف من المحدثين أمام تعريف سيبويه، وفسر الاعتماد قائلاً: (ليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي)^(١٢) ولا شك أن هذا الفهم لم يدر برأس أحد من الشارحين لسيبويه، وهو معنى لم يكن ليجري على قلم الدكتور إبراهيم لولا ما تعلمه من معنى الجهر حديثاً، فهل قصد سيبويه بالاعتماد عملية إصدار الصوت حقاً؟ أن تلك مسألة بعيدة، ولا شك أن الدكتور إبراهيم شغل بها ووصل إلى هذا بعد تأمل وتدبر، وقد أملى عليه ذلك اعتقاده الجازم بأن سيبويه كان على معرفة بمعنى الجهر كما يعرفه المحدثون وهي مسألة سنعرض لها لاحقاً، إذ أن تلك قناعة نجدها عند كثير من الباحثين والمستشرقين^(١٣)، وقد أوضح إبراهيم أنيس ذلك بقوله: (ونحن حين نحسن الظن بتعريف سيبويه، نحكم بأنه كان على علم حقيقي بطبيعة المجهور والمهموس).^(١٤)

وإذا كان الاعتماد هو عملية إصدار الصوت عنده، فإن الدكتور تمام حسان فسر الاعتماد بالضغط، ورأى أن اشباع الاعتماد هو تقوية الضغط^(١٥)، كما فسر الدكتور عبد الرحمن أيوب: الاعتماد بالارتكاز، أي أن الاعتماد هو ارتكاز عضو على عضو، وهو بهذا التفسير يتابع القدماء في معنى الاعتماد فهو عنده على المخرج، إذ أن (معنى الاعتماد للحرف حدوث الارتكاز في موضع إنتاج الحرف)^(١٦)، وعدا الدكتور أيوب، فإن أكثر المحدثين يخضعون التعريف لمعنى الجهر عندهم، ولذلك فالاعتماد يفسرونه، بالضغط على فتحة المزمار حيث الوترين الصوتيين. وقد فسر بعض المحدثين^(١٧) الاعتماد بالارتكاز والضغط إلا أنه خالف الآخرين إذ أن الضغط والارتكاز عنده له معنى النبر، وهو معنى بعيد عن المعنى المراد عند سيبويه، وقد أخذ هذا المعنى من نص لابن جني في الخصائص لم أعثر عليه هو: (أنهم يبتدئون الأقوى من الحروف فيعتمدون عليه، ويتلوه الآخر تبعاً له)^(١٨)، والنص على كل حال يتحدث في معنى آخر، إلا أن الكاتب جعل هذا النص معيماً على معرفة الاعتماد عند سيبويه، والنبر في معناه لا يوافق المعنى الذي للاعتماد في تعريف سيبويه.

وقبل القول برأي في هذه الآراء يحسن استكمال الصورة بالوقوف عند بقية المصطلحات لمعرفة التعريف إجمالاً، ثم الوصول إلى رأي أو ترجيح رأي.

الموضع..

لاشك أن التعريف ووضوحه يقوم على فهم هذه الكلمات، والموضع هي الكلمة الثانية التي بمعرفتها يتضح التعريف إذ أن مكان الاعتماد يحدد معناه، أو يقرب معناه كثيراً فهل قصد سيبويه بالموضع المخرج؟ وبذلك يكون المعنى أسهل تناولاً، أم قصد بالموضع مكاناً آخر؟ وما هو هذا المكان؟

ذكر سيبويه كلمة الموضع في جمل متفرقة نوردتها محاولين استخلاص معنى الموضع

منها:

١. قوله: (حرف أشبع الاعتماد في موضعه...)^(١٩).
٢. قوله: (ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف).^(٢٠)
٣. قوله: (هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف، أما الدال والزاي ونحوهما،

فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك من مواضعهن فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان)). (٢١)

٤. قوله: (ولم نسمعهم قالوا في التحرك: حين سليمان فاسكنوا النون مع هذه الحروف التي مخرجها معها من الخياشيم، لأنها لا تحول حتى تصير من مخرج موضع الذي بعدها). (٢٢)

٥. قوله: (اعلم أن من الحروف حروف مشربة ضغطت من مواضعها). (٢٣)

الذي يتضح من خلال هذه النصوص، عدا النص الأول بيت القصيد، إن الموضع فيها يعني المخرج، وما عدا قوله: (هذه الأربعة لها موضعان) الذي يقصد بالموضعين المخرج ومكان آخر، فإن جميع ما ورد من هذه النصوص جاءت كلمة الموضع بمعنى المخرج، بل أن النص الذي ورد فيه قوله: (مخرج موضع الذي بعدها) جاءت فيه كلمة موضع بمعنى مخرج، ولا يحتمل معنى آخر، مما يؤيد أن سيبويه كان يستعمل الموضع بمعنى مرادف للمخرج غالباً. وقد سبق القول أن أكثر الذين ذكروا الجهر أعادوا عبارات سيبويه دون تغيير، وقد غير عدد منهم، واستبدل عدد منهم كلمة المخرج بالموضع، وهي دلالة واضحة على أنهم فهموا منها أنها المخرج، يقول مكي بن أبي طالب: (معنى الحرف المجهر أنه حرف قوي الاعتماد عليه في موضع خروجه) (٢٤)، وصياغة التعريف على هذا النحو، لا تحتاج إلى تأكيد على ذلك، ويقول ابن يعيش: (الشديدة يشد الاعتماد فيها بلزومها موضعها) (٢٥)، وكلمة الموضع هنا أيضاً مرادفة لكلمة المخرج ويقول ابن الحاجب: (بين معنى الجهر بما ذكره من إشباع الاعتماد به من مخرج الحرف، ومنع النفس أن يجري معه) (٢٦)، وهي أوضح وأجلى، لأنه ذكر التعريف كاملاً مستبدلاً المخرج بالموضع، ويقول بدر الدين العيني: (المجهورة.. وهي ما تحبس جريان النفس مع تحركه، وذلك لكونه قوياً في نفسه، وقوى الاعتماد عليه في موضع خروجه) (٢٧)، وهي عبارة مرادفة لعبارة مكي بن أبي طالب.

هذه النصوص تؤكد ما جاء عند سيبويه من النصوص السابقة من أن الموضع في التعريف بمعنى المخرج.

ونجد لدى المحدثين أيضاً ما يؤيد هذا الذي وجدناه لدى القدماء، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: (يقصد بالجهر قوة اعتماد الصوت على مكان خروجه فيمتنع جريان النفس معه) (٢٨)، وقد استبدل بالموضع مكان خروجه، وذكر التعريف كاملاً، كما جاء عند سيبويه، وكذلك نجد الدكتور عبد الرحمن أيوب يفسر الموضع بالمخرج حيث يقول: (الاعتماد في الموضع معناه ارتكاز عضو على عضو في الموضع الذي يلتقيان فيه) (٢٩)، ولا شك أن الموضع

هنا هو المخرج، حيث يلتقي عضوا النطق، ويفسر الدكتور عبد الصبور شاهين أيضاً الموضع بالمخرج حيث يقول: (فإذا تأملنا هذا النص وجدناه يستخدم كلمة الموضع بمعنى مكان التقاء أعضاء النطق التي يخرج منها الصوت). (٣٠)

أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد شذ عن هؤلاء، ورأى في الموضع معنى آخر هو المجرى، الذي قصد به مجرى الصوت منذ انطلاقه من الرئتين حتى خروجه، يقول: (ولأمر ما عبّر سيبويه بقوله: (اشبع الاعتماد في موضعه) ولم يقل في مخرجه، لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج، فكلمة الموضع هنا هي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب بالمجى، وفرقنا بينه وبين المخرج). (٣١)

وقد تقدم القول أن الدكتور إبراهيم أنيس قد مال إلى عد الجهر عند سيبويه وعند المحدثين معنى واحداً، وفسر التعريف وفقاً لذلك، ولا ريب أن الميل إلى هذا القول يؤدي إلى شرح الموضع بهذا الذي ذكره الدكتور أنيس، لا سيما أنه رأى الاعتماد عملية إصدار الصوت. ومن كل ما تقدم نجد أن الإجماع منعقد على القول بأن الموضع في تعريف سيبويه يعني المخرج، وذلك أمر يسهل كما ذكرت مسألة الوصول إلى معنى التعريف.

وإذا كانت كلمة الموضع قد تحددت بمعنى المخرج فإن تحديدها يجعل أمر الوصول إلى معنى (الاعتماد) أيسر، إذ أن الاعتماد فيما تقدم من حديث لم يتبين تبيناً واضحاً، غير أن الأمر بهذا الإيضاح يبين (الاعتماد).

ولقد توضح من أمر الاعتماد الآن أنه يكون في مخرج الصوت وهذا ما يجعل مسألة تفسيره أيسر وأقرب، ولقد تقدم أن الاعتماد يعني الارتكاز والضغط، وقد كانت كلمة الضغط هي أكثر الكلمات حظاً من الشيوخ، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن الاعتماد هو الضغط على مخرج الصوت، كما أنها لها حضور في كلام سيبويه.

ويمكن الاستعانة بنصين اثنين ذكرهما سيبويه خاصاً بهما الأصوات المجهورة أولهما هو قوله: (أعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا للسان عن موضعه وهي حروف القلقة... والدليل على ذلك أنك تقول الحذق فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف). (٣٢)

والنص الثاني هو: (ومن المشربة حروف إذا وقعت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي والطاء والذال والضاد، لأن هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر إنسل آخره، وقد فتر بين الثنايا، لأنه يجد منفذاً فتسمع نحو النفخة). (٣٣)

وإذا تأملنا هذين النصين الذين يتحدث فيهما عن الأصوات المجهورة، ويصفها بأنها ضغطت من مواضعها، وهو وصف ينطبق على أصوات القلقة الخمسة (ق، ج، ط، د، ب) والأخرى (ز، ظ، ذ، ض)، غير أن الضغط في هذه أقل، نجد أنه لا يقصد بالضغط هنا ما يفهم من الشدة، أو قوة اتصال العضوين، إذ أن وصفه للأخرى بأنها أقل ضغطاً يؤكد ذلك، وإلا فهذه رخوة لا ضغط فيها، وإذا أضفنا إلى ذلك أنه أردف هذين النصين بحديث عن الأصوات المهموسة لم يصفها فيه بضغط، علماً أن من المهموسة أصواتاً شديدة مثل الناء والكاف، نجد أن الضغط مخصص به في هذا النص الأصوات المجهورة دون المهموسة.

وقد مال الدكتور غانم قدوري إلى رأي حنيف، مفاده أن سيبويه أراد هنا بلفظ المشربة الأصوات المجهورة أي التي أشربت صوت الصدر، وهو رأي ينم على تأمل دقيق، يقول: (ولأمر ما لم يستخدم سيبويه كلمة (المجهورة) في هذا المكان من الكتاب، وهو متقدم كثيراً على باب الادغام الذي درس فيه الأصوات العربية، واستخدم هناك مصطلح المجهور والمجهورة، ويكون بذلك معنى المشربة هو الحروف التي أشربت صوت الصدر، أي تخرج مع صوت الصدر). (٣٤)

وهذا الذي ذكره الدكتور غانم نجده منصوصاً عليه في العين، حيث يقول صاحبه تعريفاً للهمس: (حس الصوت في الفم مما لا اشراب له من صوت الصدر). (٣٥)

وإذا أخذنا هذا الذي يقوله الدكتور غانم وصاحب العين، وعبارة سيبويه الصريحة من وصفه للأصوات المجهورة بأنها ضغطت من مواضعها مضافاً إليه ما وصلنا إليه من أن الاعتماد في موضع الصوت هو الضغط، ترجح لدينا أن العبارتين مترادفتان، وأن سيبويه كان يقصد في تعريفه للمجهور بقوله أشبع الاعتماد في موضعه هو ضُغَطَ في موضعه، وبذلك يكون قد تبين من هذا التعريف ما كان خافياً.

وقد توصل أحد الباحثين إلى ما توصلنا إليه فقال: (تأمل صاحب الكتاب حروف العربية، فوجد أن بعضها يتميز بنغمة خاصة أو زمر خاص ثم فكر وقدر، وبحث عن السبب في هذا الصوت فأدرك أنه يحدث من زيادة الضغط على موضع الحرف، وأن هذه الزيادة تمنع جريان النفس حتى يتوقف الضغط ويجري الصوت، فزيادة الضغط، أو إشباع الاعتماد مع منع النفس هو الذي يحدث الجهر). (٣٦)

ولا شك أن هذا الذي وصلنا إليه يقف دون التسليم به تسليماً كاملاً أن الضغط على المخرج وصفا للمجهور يلتبس بوصفه للشديد، إلا أن الذي يمنع هذا الالتباس أولاً أن سيبويه في

حديث الأصوات المشربة لم يصف المهموسة بأنها مضغوطة، وإنما خص المجهورة فقط، ثانياً أنه فرق بين الاثنين بأن المجهورة تمنع النفس، والشديدة تمنع الصوت.

وَبَقِيَ لبس آخر، هو أنه في حديث المشربة جعل الضغط خاصاً بالمجهورة دون المهموسة، وفي حديث التعريف جعل الاعتماد شاملاً للمجهورة والمهموسة، مع الفرق في كمية هذا الاعتماد أو الضغط، ويمكن تناول هذه المسألة عند الوقوف أمام مصطلحي الإشباع والإضعاف، الذين بهما يتجلى أمر التعريف وينكشف غامضه.

الإشباع..

أول ما يواجه الباحث في هذين اللفظين أنهما ليسا من الألفاظ المتقابلة، فإن الإشباع يقابل الاختلاس كما أن الإضعاف يقابل التقوية، مما يجعل استعمال هذين اللفظين في مسألة التقابل فيها واضح — فالجهر يقابل الهمس — أمر يثير الانتباه.

وقد كان المنتظر أن يستعمل سببويه لفظين متقابلين، فيكون تقوية الاعتماد مقابلاً لإضعاف الاعتماد مثلاً.

وقد أحس بهذا التقابل عدد من العلماء الذين ذكروا التعريف أو فسروه، فاستبدلوا بإشباع الاعتماد تقوية الاعتماد، يقول الداني: (معنى المجهور أنه حرف قوي الاعتماد عليه في موضعه)^(٣٧)، ويقول مكي بن أبي طالب: (معنى الحرف المجهور أنه حرف قوي الاعتماد عليه في موضع خروجه)^(٣٨)، ويقول ابن يعيش: (المجهورة يقوى الاعتماد عليها)^(٣٩)، ويقول بدر الدين العيني: (قوي الاعتماد عليه في موضع خروجه)^(٤٠)، بل نجد من المحدثين من نهج المنهج نفسه فقال: (الجهر قوة اعتماد الصوت على مكان خروجه)^(٤١)، وواضح أن العبارة الأخيرة يصف بها صاحبها الجهر، وقد استعمل عبارات التعريف

وإذا كان الاعتماد يمنع النفس، وهو ظاهر عبارة سببويه، وهو ما أوضحه السيرافي بقوله: (إشباع الاعتماد المانع من جرى النفس)^(٤٢)، فإن هذه العبارة يمكن أن توضح معنى الإشباع والإضعاف أيضاً، فإذا كان النفس يمتنع مع المجهور، ويجري مع المهموس، وممانعه هو الاعتماد، فإن الإشباع والإضعاف رهينان بجران النفس، وإذا كان الاعتماد هو الضغط، فلا بد أن جريان النفس يكون معه انعدام هذا الضغط، ومنع النفس يكون معه وجود هذا الضغط أو إشباعه.

فعبارة جريان النفس لها أثر كبير في إيضاح المراد من معنى الضغط أو الاعتماد، إذ أن المعروف أن الأصوات المجهورة منها رخو وشديد، وقد جمعها كلها تحت هذه العبارة، فالفرق

بين السين الرخوة المهموسة، والزاي الرخوة المجهورة يوضح أن الجهر في الثانية عبارة عن حاجز يمنع النفس فيضغط عليه فيجري الصوت والنفس معاً.

ولذلك فقد رأى عدد من المتقدمين أن جريان النفس هو ضابط الجهر، فقال ابن الحاجب: (لما امتنع النفس أن يجري انحصر الصوت لها فقوي التصويت)^(٤٣)، وقال أبو حيان: (إذا منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد كان مجهوراً)^(٤٤)، وكذلك ابن الجزي.^(٤٥)

كما إن من المحدثين من رأى هذا الرأي فقال الدكتور حسام النعيمي: (أن ضابط الجهر والهمس إنما هو جريان النفس مع الحرف أو توقفه)^(٤٦)، وقال آخرون بذلك^(٤٧)، ولا شك أنه قول صحيح لأن امتناع جريان النفس كما تقدم يعني إشباع الاعتماد، ولما كانت عبارة جريان النفس وعدم جريانه أوضح، فإن القول بذلك أوضح من القول بإشباع الاعتماد.

ومما تقدم يتضح أن إشباع الاعتماد يعني الضغط على موضع الحرف، وإضعاف الاعتماد عدم ذلك، مما يعني أن سيبويه أراد بالكلمتين التناظر، وليس القول أن في المجهور اعتماداً وفي المهموس اعتماداً. ولذلك فهاتان الكلمتان تدلان على وجود الاعتماد وعدم وجوده، وجريان النفس وعدم جريانه يؤكد ذلك.

ووفقاً لهذا، فإن التعريف يسفر عن معنى هو: أن المجهور حرف وُجد أمامه حاجز فضغط في موضع خروجه ضغطاً منع النفس معه حتى يجري الصوت، والمهموس حرف لم يوجد أمامه حاجز فجري الصوت معه، هذا هو الذي يتضح من خلال عبارات التعريف. وحين نخضع هذا المعنى الذي يتبدى من التعريف لمعنى الجهر حديثاً، فإن هناك ملاحظات على هذا التعريف وهي:

أولاً: لقد أدرك سيبويه جانباً كبيراً من معنى الجهر بالقول أن هناك ضغطاً، هذا الضغط يمنع النفس، لأن هذا معنى يتفق مع معنى المحدثين لا محالة.

ثانياً: لقد أدرك سيبويه أن الضغط يمنع النفس، ولكنه لم يحدد مكان هذا الضغط تحديداً صحيحاً وقد تأكد لنا مما تقدم أنه يقصد بالموضع مكان خروج الحرف، لاسيما أن الضمير لكلمة (موضعه) في التعريف يعود إلى الحرف، وموضع الحرف هو مخرجه، والضغط لا يكون على المخرج.

ثالثاً: لقد كان سيبويه مدركاً لمعنى الجهر إدراكاً لم يستطع معه أن يحدده تحديداً واضحاً، لأن الجهر شيء متصل بعمل الوترين، وهما ليسا من مدركات ذلك العصر، وقد تجلّى هذا الإدراك في قوله يمنع جريان النفس مع الجهور، وفي تفرقه بين جريان النفس وجريان الصوت.

أما إذا لم نخضع هذا التعريف لمعنى الجهر عند المحدثين، فإن الذي يتضح من خلال ما تقدم هو أن التعريف لا يقدم معنى للجهر كما هو عند المحدثين، ولا يقدم معنى للجهر خاصاً يمكن الاعتماد عليه، وليس القول بأن امتناع النفس مع الجهور وجريانه مع المهموس محدداً لمعنى مستقل يمكن الاتكاء عليه وحده، بل أن فيه دلالة على معنى الجهر عند المحدثين، غير أنه لا يقوم بنفسه دليلاً على معنى الجهر عند المحدثين.

والخلاصة أن التعريف يدل في عباراته على معنى الجهر كما هو عند المحدثين، إلا أن هذا المعنى لا يتضح وضوحاً من التعريف، والذي يمنع من وضوحه هو القول بأن الضغط (الاعتماد) في موضع الحرف، وهذا دليل على أن سيبويه كان يحس بالمجهورة والمهموسة ويفرق بينهما ترفيقاً واضحاً، وقد توضح ذلك في حديثه عن صوت الصدر، وصوت الفم، وهي أجلى ما وجد عن سيبويه من دليل على معرفته الجهر كما يعرفه المحدثون.

لم يقف سيبويه في تفسيره لمعنى الجهر والهمس عند حدود التعريف، فقد حوى كتابه تحديدات أخرى، كما جاء في شرح السيرافي نقلاً عن سيبويه إيضاحات أخرى للجهر، هذه التحديدات متضافرة تقدم تفسيراً لمعنى الجهر عنده، وإذا كان التعريف قد شابته شائبة الغموض الذي جعل اللاحقين بسيبويه يكررون عبارته دون تفسير، فإن التحديدات الأخرى تعطي صورة أوضح لمعنى الجهر، كما إنها تلقي الضوء على التعريف نفسه.

وقد تقسمت تحديدات سيبويه على قسمين، قسم نظري هو التعريف وقد تقدم، وقسم عملي هو التحديدات الأخرى.

وهذه التحديدات هي ما يمكن تعريفها بأنها وصوف أخرى لكيفية فهمه للجهر، وهي وصوف اشبه بالتجارب العملية التي كان يتخذها لمعرفة الجهر عملياً، فهي تحديدات عملية، تصف كيفية معرفة الجهر عملياً، وقد تحددت في وصفين هما، تحديده صوت الجهر بصوت الصدر، وذكره تجربة التردد.

أ. صوتا الصدر والفم:

جاء في شرح السيرافي للكتاب نصاً نادراً نسبته إلى سيبويه رواية عن الاخفش، لم يذكره سيبويه في كتابه، هو قوله: (قال سيبويه إنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر، ويجري في الحلق، غير أن الميم والنون يخرج أصواتهما من الصدر ويجري في الصدر والخيشوم غنة تخالط ما جرى في الحلق والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أدخل بهما، أما المهموسة فتخرج أصواتها من

مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهور، فآخرج الصوت من الفم ضعيفاً والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهور، فإذا قلت شخص، فإن الذي أزعج هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يزجها صوت الفم ليبلغ ويفهم بالصوت)، ويضيف السيرافي قائلاً: (فالصوت الذي من الصدر ههنا نظير ذلك الذي ترفعه بعد ما يزجي صوت الصدر، ألا ترى أنك تقول قام فإن شئت أخفيت، وإن شئت رفعت صوتك، فإذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتاً آخر).^(٤٨)

وعلى الرغم من أن هذا النص ليس موجوداً في كتاب سيبويه إلا أن السيرافي ذكره رواية عن أبي الحسن الأخفش، مما يجعل النص موسوماً بالثقة، وقد قال عن هذه الرواية الدكتور إبراهيم أنيس: (نعتقد أنها صحيحة في جملتها، وأنها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير).^(٤٩)

وهذه شهادة للنص بالثقة، كما أنها شهادة له بأن ما ورد فيه من آراء متفقة مع أحدث النظريات، وإذا كان ذلك كذلك، فإن هذا ابتداء بالقول أن الجهر عند سيبويه وعند المحدثين سواء في المفهوم، وإن اختلفت العبارات، والوقوف تفصيلياً أمام هذا النص يوضح المسألة ويجليها.

وهذا النص حوى جملة من المسائل الصوتية الهامة التي تعين في إيضاح فكرة الجهر عند سيبويه وهي:

- ١) قوله: لا تصل إلى تبیین المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر.
 - ٢) قوله: المهموسة تخرج أصواتها من مخارجها.
 - ٣) قوله: تتبع صوت الصدر هذه الحروف (المهموسة) بعد ما يزجها صوت الفم.
 - ٤) قوله: الصوت الذي من الصدر ههنا نظير ذلك الذي ترفعه بعد ما يزجي صوت الصدر.
 - ٥) قوله: إذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتاً آخر.
 - ٦) قوله: الدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف.
 - ٧) قوله: والدليل أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أخل بهما.
- أولاً: والقول بأنك لا تصل إلى تبیین المجهور إلا بدخول صوت الصدر يعني أن الجهر عبارة عن صوت يخرج من الصدر وهذه هي فكرة المحدثين عن الجهر، فهو صوت يخرج

من الصدر، أو نغمة تنشأ من ذبذبة الوترين الصوتيين، والذي يؤكد ذلك هو الفكرة الأخرى وهي أن الهمس لا يكون معه صوت الصدر.

ثانياً: الصوت المهموس هو الصوت الذي يخرج من مخرجه فقط، أي لا يكون صوت الصدر مكوناً لهذا الصوت.

ومن خلال هاتين الفكرتين يمكن أن نستنتج استنتاجاً بسيطاً هو أن الجهر صوت الصدر، والهمس صوت الفم، فالمجهور يساوي صوتاً يتم في المخرج مضافاً إليه صوت الصدر، والمهموس يساوي صوتاً يتم في المخرج فقط .

أي: المجهور = صوت الصدر + صوت الفم.

المهموس = صوت الفم فقط .

ثالثاً : إيضاحاً لما تقدم فقد أكد أن الصوت المهموس يكون متبوعاً بصوت الصدر، ولا يكون صوت الصدر معه، وإنما بعده، وهذا الصوت هو النغمة التي تكون مع المجهور، وهو الحركة التي تتبع المهموس كما تتبع المجهور أيضاً. (٥٠)

رابعاً: هذه الفكرة هي إيضاح للفكرة السابقة، فصوت الصدر يكون مع المجهور، وبعده، كما يكون بعد المهموس فقط لا معه.

خامساً : هذه الفكرة ربما تكون غامضة بعض الشيء، فإن رفع الصوت أو خفضه لا يعني إلا زيادة التردد في حالة الرفع ونقصانه في حالة الخفض، فالصوت المرتفع أو القوي تكون تردد ذبذباته أكثر من الصوت الخفيض أو الضعيف إلا أن الاختلاف يعني ضعف الذبذبات بحيث تنعدم مما يعني أن الصوت مهموس، وإذا كان هذا هو المراد فإن رفع الصوت يعني إظهار ذبذبات الوترين الصوتيين، أو إظهار صوت الصدر، فرفع الصوت يكون بمعنى ظهور صوت الصدر، وهو ما عني به صوتاً آخر.

سادساً: هذه العبارة توضح أيضاً الفكرة السابقة من أن رفع الصوت يعني ظهور صوت الصدر، ولذلك فإن خفضه هو انعدام صوت الصدر، أي أنك إذا أخفيت همست.

سابعاً : هذه العبارة وردت في كتاب سيبويه نصاً وقد ذكرها عند حديثه عن صوتي الميم والنون اللذين يشتركان في إخراجهما الخيشوم أو الفراغ الأنفي، ولكن الذي يلفت الانتباه هنا هو الجانب العملي، حيث أن ذلك يعني أن سيبويه كان مشغولاً بمعرفة الأصوات من خلال تحسس ذلك باللمس، والمحدثون يرون في طريقة اللمس هذه وسيلة لمعرفة الجهر يقول أحدهم: (ونستطيع أن نتبين الفرق بين الحالتين بإجراء تجربة ننطق خلالها بعض الأصوات الهجائية، ونضع أيدينا خلال النطق على مقدمة الرقبة أو على الجبهة أو على الصدر أو

الأذنين، ولما كانت هذه المواضع بمثابة غرف رنين، فإن الذبذبة حين تحدث في نطق صوت ما، تحدث تأثيرها في هذه المواضع، ويحس من يلمسها بالاهتزاز).^(٥١)

هذه هي الفكرة الأولى التي اعتمدت على التجربة العملية في الأصل، توصل بها إلى أن الجهر صوت الصدر والهمس صوت الفم.^(٥٢)

وإذا كانت هذه الفكرة مفصلة في هذا النص، فإن في كتاب سيبويه ما يشير إليها إشارة واضحة، فهو يقول: (أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ، لأنهم يخرجون مع التنفس لا صوت الصدر)^(٥٣)، وهذا النص رديف للنص السابق، فالمهموس يخرج صوته من مخرجه، وذلك معنى قوله (تقف عندها مع نفخ)، والمهموسة منها شديدة ومنها رخوة، ولذلك فقد أراد بهذه العبارة أنها تخرج من مخرجها وليس لصوت الصدر علاج فيها، وليس المقصود في هذه العبارة ما يسمع مع أصوات مثل أصوات القلقلة التي تقف عندها بنفخ، وإنما أراد أن الصوت المكون لها هو ما يسمع عند النقاء عضوي المخرج النقاء تاماً أو مقصوراً على التقارب.

ويبدو لي أن حديث سيبويه عن صوت الصدر هو الذي دفع شاده إلى القول أن سيبويه عد الصدر من آلات النطق حيث يقول: (ويظهر من بعض ما يقوله في كتابه أنه يعد من آلات النطق الصدر أيضاً، وليس ذلك غلطاً، لأن الصدر يحتوي الرئة، والرئة هي مصدر النفس الذي هو كما رأيت جوهر كل صوت لغوي)^(٥٤)، ولا شك أن هذا الاستنتاج فيه شيء من المبالغة، فإن كلام سيبويه عن الصدر فيه من التحديد ما يجعل ذلك بعيداً، فحديثه عن صوت خاص هو النغمة التي تسمع عند ذبذبة الوترين، والتي سماها الصدر، أما جعله الصدر من آلات النطق فإن هذا ليس من ما يستفاد من كلامه إلا تجوراً.

ب. تجربة الترديد :

ذكر سيبويه بعد تعريفه للمجهور والمهموس قوله: (وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت).^(٥٥)

هذا النص عرض له السيرافي بالشرح فقال: (أعلم أن ترديد الحرف الذي يعرف به المجهور من المهموس لا يمكن إلا بتحريكه، لأن الساكن لا يمكن ترديده، ومعنى كلامه أن ترديد الحرف على الوصف الذي ذكر يعرف به المجهور من المهموس سواء رفعت صوتك أو أخفيت، وحروف المد هي الألف والواو والياء وما فيها منها يعني الحركات).^(٥٦)

وقد ذكر السيرافي أيضاً عن الأخفش قوله: (قال أبو الحسن الأخفش سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال المهموس إذا خففته ثم كررته أمكنك ذلك فيه، وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال ألا ترى كيف يمكن، وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يتمكن). (٥٧)

هذه التجربة من الوضوح بحيث يمكن اعتمادها للوصول إلى معنى الجهر، لا سيما أن نص الأخفش يضع خطوات يسيرة لمعرفة ذلك.

وقد اختلف المحدثون في تفسير هذه الطريقة، فقد رأى الدكتور إبراهيم أنيس دليلاً على أن الصوت المجهور عند خفوت الصوت به تذهبذبذباته التي تدل على جهره فيسمع مهموساً، يقول: (والذي لم يكن يعرفه سيبويه هو إن الإخفاء معناه إسكات الذبذبات التي تحدث مع كل مجهور من الوترين الصوتيين بالحنجرة، ومتى سكنت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس). (٥٨)

وإذا أخذنا بهذا التفسير، وهو تفسير يقوم على أساس التجربة العملية أيضاً لوجدنا أنه يعضد المعنى الأول الذي يتفق فيه الجهر مع المعنى الحديث، وهو ما يدل على أن الجهر هو صوت الصدر، فإذا خففت الصوت ذهب هذا الصوت وسمع المقابل المهموس، وبذلك يكون كلام سيبويه في هذا النص سليماً متفقاً مع كلامه الأول.

وقد رأى الدكتور حسام النعيمي في حديث التردد أنه السبيل لمعرفة الجهر عند سيبويه الذي يختلف معناه عند المحدثين، واعتمد كلام الأخفش قائلاً: (فإذا ضممنا إلى هذا النص ما ورد في تفسير المهموس من أنه الذي يجري به النفس أمكن أن نضع الضابط الآتي: لتمييز المهموس من المجهور اتبع الطريقة الآتية:

١. اخفض صوتك بالحرف إلى أدنى ما تستطيع - الإخفاء.

٢. ردد الصوت بالحرف - التكرار.

٣. اجر النفس وأنت تقوم بهذه المحاولة - جري النفس.

فإذا سمع الصوت الذي يسمع إذا لفظ وحده بوضوح وبصوت مرتفع، فالحرف مهموس، أي إذا لم تؤد التجربة إلى تحول صوت الحرف فهو مهموس، أما إذا قمت بالتجربة لنطق حرف معين وأدى خفض الصوت به وتكراره مع جري النفس إلى سماع صوت الآخر، فالصوت الذي حاولت نطقه وتحول صوت مجهور). (٥٩)

وفي ما ذكره الدكتور حسام ما يعتمد عليه للوصول إلى معنى الجهر عند سيبويه لولا أمور، وقد أضاف الدكتور قائلاً: (وقد جربت ذلك مع الحروف المهموسة جميعاً فأمكنني ذلك،

وفهمها السامع، وميز أصواتها، وجربته مع الطاء فسمعت تاء، ومع القاف فسمعت خاء، وأما الهمزة وهي الحرف الثالث الذي وصفه علماؤنا بالجهر، وهو مهموس بضابط المحدثين، لأن الـوترين لا يهتران معها، فلا يمكن إجراء النفس معها ابتداءً).^(٦٠)

غير أن النتيجة التي ذكرها الدكتور هنا لم تحقق ما يتوخى من الاعتداد بتجربة التردد وحدها للوصول إلى معنى الجهر، أو بعبارة أخرى إن تجربة التردد هذه تشوبها أيضاً شوائب، وفي حديث الدكتور حسام مقنع في ذلك إذ أن تجربة التردد إذا كانت محكاً لمعرفة الجهر في الأصوات فإن الصوتين المتناظرين المتفقين في جميع الصفات عدا الجهر والهمس هما اللذان يمكن بهذه التجربة تحول بعضهما إلى الآخر، مثل الدال بالتكرير والإخفاء تتحول إلى تاء، ومثل الذال تتحول إلى التاء، والذي نجده من كلام الدكتور حسام أن الطاء تحولت إلى تاء، والقاف تحولت إلى خاء، فأين إطباق صوت الطاء الذي يجب أن يمنع أن يتحول إلى تاء وأين اختلاف مخرج صوتي القاف والحاء، ومعلوم أن النظير المجهور لصوت الخاء هو الغين وهو مجهور عند سيبويه والمحدثين، فضلاً عن أن هذه التجربة لم تستوعب صوت الهمزة الذي بها -كما يجب- رأى سيبويه أنه مجهور وإذا كانت التجربة قد قصرت في الأصوات الثلاثة التي هي مثار الخلاف بين سيبويه والمحدثين، فإن ذلك ما يدعو إلى إعادة النظر في تجربة التردد بوصفها وسيلة للوصول لمعنى الجهر.

وتجربة التردد كما ذكرت بوصفها وسيلة لمعرفة المجهور من المهموس، فإن التحول فيها يكون في الأصوات المتناظرة، وفي ما عمله سيبويه من تجربة أصوات متقاربة هي الطاء والدال والتاء ما يؤكد ذلك، غير أن السيرافي ذكر نصاً يفهم منه أن مبدأ التحول ليس مطرداً في هذه التجربة، بمعنى أن التجربة تتحول فيها الأصوات المهموسة إلى مجهورة، ولا تتحول المجهورة إلى مهموسة، وهو رأي فيه شيء من الغرابة، يقول: (قال أبو اسحق: معنى جهرت أعلنت وأظهرت وكشفت ومعنى همست أخفيت، فليس في الطاقة حرف يمتنع من أن يجهر به، ومن الحروف ما لا ينطق به إلا مجهوراً، وهي التسعة عشر حرفاً، فمتى رمت أن تنطق بشيء منها لم يتهياً لك أن تأتي به خفياً، فرم ذلك في العين والقاف والطاء والدال فإنه يمتنع، ولا يسمع إلا مجهوراً، ومنها ما يتهياً لك أن تنطق به، ويسمع منك خفياً وهي الأحرف العشرة، فرم ذلك في التاء، فإنك تجده وذلك قولك ت ت ت، فهذه تسمع منك خفية، وإن شئت جهرت بها، وأخواتها أيضاً يجرين مجراها، في أنه يتهياً أن يسمع منك خفيات، وهن مع هذا يختلفن لما فيهن من الرخاوة والشدّة، والتاء اثبتين في الهمس).^(٦١)

وهذا النص دليل على أن الذين أتوا بعد سيبويه لم يكونوا كلهم يرددون كلامه ترديداً، وإنما كان عدد منهم يققون عند كلامه ويخضعونه للبحث والدراسة، وأياً ما كانت النتائج التي يتوصل إليها، فإن كلام سيبويه، في هذا الباب لم يكن يؤخذ بالتسليم دون الدراسة، كما نجد عند السيرافي والزجاج، والأخفش، وقد أخضع الزجاج الأصوات لتجربة الترديد هذه، واكتشف أنها يمكن بها معرفة المجهور والمهموس، إلا أن المجهور لا يتحول إلى مهموس، لأن ذلك ممتنع، حيث يقول: (رم ذلك في العين والقاف والطاء والدال، فإنه يمتنع أو لا يسمع إلا مجهوراً)، أما الأصوات المهموسة، منها يمكن أن يجهر بها حيث يقول: (ومنها ما يتهياً لك أن تنطق به، ويسمع منك خفياً، وهي الأحرف العشرة، فرم ذلك في التاء فإنك تجده، وذلك قولك ت ت ت ت فهذه تسمع خفية، وإن شئت جهرت بها).^(٦٢)

وهذا الذي استنتجه الزجاج، يخالف ظاهر كلام سيبويه الذي أورده الأخفش، إذ أن الترديد يعرف به المجهور من المهموس، والأصوات المتناظرة أقرب مثال لذلك .

والترديد تجربة ذكرها بعد سيبويه الكثيرون^(٦٣)، إلا أنهم لم يققوا عندها كثيراً، وقد أطلق سيبويه عل الترديد لفظ الاعتبار، والإجراء، لذلك نجد هذين اللفظين عند اللاحقين له، وقد لاحظ إبراهيم أنيس أن السيرافي بدل كلمة إجراء إلى اعتبار وقد رأى في ذلك تعثراً، وهي مسألة كبيرة، وليس الأمر كما يرى، فالكلمتان توديان المعنى نفسه، حيث يقول: (تعثر السيرافي في جملة جاءت من كلام سيبويه، ورواها السيرافي كما يأتي (إذا أردت اعتبار الحرف)... أما نصها الوارد في كتاب سيبويه فهو (إذا أردت إجراء الحرف).^(٦٤)

يقول سيبويه: (وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف... فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحرف اللين والمد أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت).^(٦٥) وفي هذا النص يورد سيبويه الألفاظ الثلاثة جميعها الترديد، الإجراء، والاعتبار، وقد استعمل المبرد الترديد^(٦٦) واستعمل ابن جني الاعتبار والتكرير^(٦٧) والأعلم الترديد^(٦٨) والزمخشري التكرير^(٦٩) وابن يعيش الترديد^(٧٠) وابن الحاجب التكرير^(٧١) والرضي التكرير أيضاً.^(٧٢)

وهذه الألفاظ كلها بمعنى واحد، فما معنى الترديد والاعتبار أو الإجراء؟ وكيف يكون؟. في نص سيبويه تفسير لذلك حيث يقول: (ترفع صوتك بحرف اللين أو المد. أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت) وهذا يعني أن الترديد أو الإجراء يكون برفع الصوت أو بخفضه مع تكرير الحرف، يقول السيرافي: (إن ترديد الحرف الذي يعرف به المجهور من المهموس لا يمكن إلا بتحريكه... سواء رفعت صوتك أو أخفيت)^(٧٣)، ولا شك أن هذين النصين يختلفان عن نص

سيبويه الذي ذكره الأخفش حيث يقول: (المهموس إن خففته ثم كررته أمكنك ذلك فيه، وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه).^(٧٤)

وهذا يجعلنا أمام تفسيرين أحدهما يرى أن ترديد الحرف مع جرى النفس هو المعول عليه، فإذا أمكن ذلك فالحرف مهموس وإذا امتنع فالحرف مجهور، أما إجراء التجربة مع الأصوات المجهورة بخفض الصوت وتحولها إلى مهموسة، فذلك لا يؤخذ إلا من كلام الأخفش، وهو مستقيم، إلا أن سيبويه لم يؤكد في كتابه.

وبالنظر إلى ما ورد عند علماء العربية الآخرين فإننا لا نجد المبرد يشير إلى المسألة بهذه الصورة، ولا ابن جني، أما العلم فيرى أن رفع الصوت وخفضه في الحالين سواء، وهو تابع للسيرافي، وتبقى رواية الأخفش هي الوحيدة التي ذكرت الإخفاء في الهمس ورفع الصوت في الجهر.

والذي عليه الجميع أن الترديد هو النطق المكرر بالصوت مع جري النفس فهو ممكن في المهموسات، وممتنع في المجهورات ولا شك أن ذبذبة الوترين الصوتيين الذين يكونان في حالة تقارب شديد هو الذي يجعل النفس ممتنعاً، وأنها في حالة الهمس يبتعدان مما يجعل النفس ممكناً، وعليه فإن تجربة الترديد هي وسيلة ناجعة لمعرفة المجهور من المهموس، إلا أن القول أنها تحقق نتائج غير النتائج التي نجدها عن المحدثين، مما يجعلها وسيلة مغايرة لمعرفة الجهر والهمس عن وسيلة المحدثين، فإن تلك مسألة لم ينحسم الأمر فيها، والذي وجدته أن تجربة الترديد تحقق النتائج نفسها التي توصل إليها المحدثون، مما يؤكد عندي أنها تعضد القول بصوت الصدر وصوت الفم، وتبقى الأصوات الثلاثة تحتاج وقفة في ضوء ما تقدم.

المحدثون والجهر عند سيبويه..

موضوع الجهر من الموضوعات التي شغلت المحدثين كثيراً، وهي أكثر الموضوعات إرباكاً، وسوف يمر وقت طويل دون التسليم تسليماً كاملاً برأي أخير في مسألة الجهر عند سيبويه، وهل عرفها كما يعرفها المحدثون؟ إذ أن ذلك من محيرات المسائل، فكيف استطاع سيبويه وهو ابن القرن الثاني الهجري من معرفة الأصوات المجهورة والمهموسة؟ وكيف صنفها تصنيفاً لا يفترق عن تصنيف المحدثين إلا في صوتين أو ثلاثة؟ وهي نسبة لا تقلل من دقة تصنيفه.

ولذلك فقد كان للمحدثين مستشرقين وعرباً وقفات أمام معنى الجهر عند سيبويه، محاولة لاستجلائه، ولا شك أنهم اختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً، واتفقوا اتفاقاً كبيراً أيضاً.

والاتفاق الذي نقصده هو أنهم اجمعوا في أغلب الأحيان على أن سيبويه عرف الجهر كما عرفه المحدثون، ولم يعرف الوترين الصوتيين، ولا عملهما.

والاختلاف هو أنهم اتخذوا طرقاً مختلفة في الوصول إلى هذا الاتفاق.

ونبدأ بالمستشرقين فقد رأى العالم الألماني شادة أن سيبويه عرف معنى الجهر كما يعرفه المحدثون، وقد رأى أنه توصل إلى ذلك من خلال حديثه عن أصوات القفلة، حيث يقول يمكن: (أن نفس الصوت يحدث نطقي لم يوفق سيبويه إلى ملاحظته إلا في الوقف على المجهورة الشديدة، وهذا الحدث هو اهتزاز الأوتار الصوتية)^(٧٥)، وهو رأي تخطى عنه فيما بعد، وقد رأى كانتينو بعده أن سيبويه عرف الجهر كما عرفه المحدثون فقال راداً على اعتراض القائلين بأن العرب لم يعرفوا الوترين الصوتيين: (الجواب على هذا الاعتراض يسير إذ أنه يمكن التظن إلى المقابلة بين المجهورة والمهموسة تظناً دقيقاً جداً بدون معرفة سببها الحقيقي)^(٧٦). أما هنري فليش فقد رأى أن حديث سيبويه عن صوت الصدر وصوت الفم هو أوضح الدلائل على معرفته الجهر بالمعنى الحديث، حيث يقول: (استطاع سيبويه أن يشير بوضوح كبير وبما كان يملك من وسائل التحليل، إلى ما كان يجهله من دور الحنجرة، وهو ما نطلق عليه الجهر).^(٧٧)

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: (ووصف سيبويه الصوت المجهور، وحدد المجهورات، كما وصف المهموس وحدد المهموسات، ودلت تجارب المحدثين على أن سيبويه قد عنى بالمجهور ذلك الصوت الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان في الحنجرة، وإن المهموس هو الذي يصمتان معه... وجاءت التجارب الصوتية الحديثة مؤيدة لكلام سيبويه في هذا، في الكثرة الغالبة من الحالات رغم أنه لم تكن لديه الإمكانيات الحديثة في الدراسات الصوتية من آلات التسجيل والتصوير، أو بمعرفة نظريات التفسير).^(٧٨)

وهذا الذي ذكره الدكتور إبراهيم أنيس شهادة كبيرة، من الصعب تجاهلها، فمعرفة سيبويه بالجهر كما يعرفه المحدثون حقيقة سلم بها الباحثون في العصر الحديث، ونجد صداها عند الباحثين العرب كثيراً، يقول الدكتور كمال بشر أن سيبويه (استطاع بطريقته الخاصة أن يقسم الأصوات العربية الصامتة إلى مجهورة ومهموسة، ووصل من ذلك إلى نتائج تتفق في مجموعها مع ما نراه اليوم)^(٧٩)، ويقول الدكتور عبد الرحمن أيوب: (الجهر والهمس في عرفه لا يختلفان عن مفهومنا لهما)^(٨٠)، ويقول آخر: (أدرك عمل هذه الأوتار إدراكاً واعياً، موافقاً لما كشفت عنه أحدث التجارب العصرية)^(٨١)، ويقول آخر: (الذي يبدو أن سيبويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذي يحس به في صدره أثناء النطق).^(٨٢)

وغير هؤلاء كثير، والمتأمل لعبارات سيبويه في التعريف، وفي تجربتي التردد وصوتي الصدر والفم، يصل إلى هذه القناعة التي توصل إليها هؤلاء من أن سيبويه كان قد توصل إلى معرفة الجهر كما يعرفه المحدثون، والشاهد الأخير بعد ذلك الذي يصعب رده هو نتائج هذه المعرفة لمعنى الجهر، فقد صنف الأصوات مجهورة ومهموسة كما يصنفها المحدثون عدا ثلاثة أصوات هي الهمزة والقاف والطاء، أما الهمزة فهي حالة خاصة عند المحدثين لا يتفقون على جهرها أو همسها، ومعنى ذلك أن نسبة الاختلاف بينه وبين المحدثين ضئيلة جداً، لا تسمح بالقول باختلاف المفهوم بينهما على الأرجح.

وإذا نظرنا إلى مسألة الجهر مجردة من عبارات سيبويه وإلى قول المحدثين أن إدراك الجهر دون معرفة الوترين مسألة ميسورة، وذلك بوضع الكف على الرقبة أو الجهر، لرأينا أنه ليس غريباً أن نصل إلى القول بأن سيبويه أدرك الجهر.

ولعل من الغريب القول أن العرب عرفوا الوترين الصوتيين، وقد مال أحد المحدثين إلى ذلك فقال: (وقد حققنا في غير هذا الموضع أن ناساً من العرب وناساً من علماء العربية قد أثير عنهم ما أفاد معرفتهم بطبيعة تكون هذا الموضع من الحلق، وأن ثم وتراً يجيء منه الصوت)^(٨٣)، ووجه الغرابة أن الباحث هو الذي يقول: (أول من عرف أوروبا والعالم الحديث من ورائها بأوتار الحناجر وذبذبتهما هو فراين)^(٨٤). وقد اعتمد الباحث في قوله بذلك عبارة ذكرها دون أن ينسبها وهي: (الشوارب مخارج الصوت في أقصى الحلق)^(٨٥)، وقد ذكر أن العرب كانت تسمى الأوتار بالشوارب قائلاً: (أما الأوتار فهي وترتا الصوت، والوترتان الخادعتان، وقد حققنا في موضع غير هذا أن العرب كانت تسمى جملة تلك الأوتار الشوارب)^(٨٦)، ويبدو أن العبارة التي اعتمدها الباحث معدله، وقد ذكر ذلك صاحب اللسان نقلاً عن جمهرة اللغة العبارة الصحيحة، وهي في الجمهرة أيضاً على النحو الآتي: (الشوارب عروق في باطن الحلق، وهي مجاري الماء)^(٨٧)، وليس في العبارة ما يدل على شيء من هذه المعرفة، أما القول أن الباحثين بعد سيبويه تقدموا خطوات في معرفة التصويت فذلك أمر تشهد به الشواهد، نجد ذلك عند الفارابي في كتاب الموسيقى الكبير^(٨٨)، وعند ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف^(٨٩)، وعند الكندي في رسالته رسالة اللثة^(٩٠)، وقد فهم الكندي الجهر فهماً متقدماً على فهم سيبويه شيئاً ما، يقول أحد المحدثين: (مما يجدر ذكره هو أن واحداً من علماء البحث، وهو الكندي عبر عن المجهورات بأنها نغمات وعن المهموسات بأنها نفس)^(٩١)، وقد كان في صنيع ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب^(٩٢) ما يشهد بسيره خطوات في فهم عملية التصويت التي كان متفقاً مع الفارابي في تصورها.

الهوامش والتعليقات..

١. الكتاب ٢ / ٤٠٥.
٢. نفسه ٢ / ٤٠٥.
٣. ارتشاف الضرب ١/ ١٠، وشرح المراح في التصريف ص (١٦٧).
٤. المقتضب ١/ ١٩٤، والإيضاح ٢/ ٢٨٥ والتحديد ص (١٠٧).
٥. ينظر: الدراسات الصوتية ص (١٢٩).
٦. الكتاب: ٢/ ٤٠٥.
٧. المقتضب ١/ ١٩٧.
٨. جرس اللسان ص (٦٣).
٩. شرح المفصل ١٠/ ١٢٨.
١٠. شرح المفصل ١٠/ ١٢٨.
١١. الإيضاح ٢/ ٢٨٥.
١٢. الأصوات اللغوية ص (١٢٥).
١٣. ينظر: الدراسات الصوتية ص (١٢٩).
١٤. الأصوات اللغوية ص (١٢٤).
١٥. اللغة العربية معناها ومبناها ص (٦١).
١٦. الأصوات عند سيبويه ص (٣٠).
١٧. جرس اللسان ص (٦٥).
١٨. نفسه: ص (٦٥).
١٩. الكتاب ٢/ ٤٠٥.
٢٠. نفسه ٢/ ٤٠٦.
٢١. نفسه: ٢/ ٤٠٦.
٢٢. نفسه ٢/ ٤١٥.
٢٣. نفسه ٢/ ٢٨٤.
٢٤. الرعاية ص (١١٧).
٢٥. شرح المفصل ١٠/ ١٢٩.
٢٦. الإيضاح ٢/ ٤٨٥.
٢٧. شرح المراح ص (١٦٧).
٢٨. فقه اللغة ص (١٦١).
٢٩. الأصوات عند سيبويه ص (٣٠).
٣٠. في التطور اللغوي ص (٢٠٠).
٣١. الأصوات اللغوية ص (١٢٥).
٣٢. الكتاب ٢/ ٢٨٤.
٣٣. الكتاب ٢/ ٢٨٤.

٣٤. الدراسات الصوتية ص(١٣٢).
٣٥. العين ١٠/٤.
٣٦. التفكير اللغوي عند العرب قبل سيبويه ص(١٥٧).
٣٧. التحديد ص(١٠٧).
٣٨. الرعاية: ص(١١٧).
٣٩. شرح المفصل ١٢٩/١٠.
٤٠. شرح المراح ص(١٦٧).
٤١. (فقه اللغة ص(١٦١).
٤٢. شرح السيرافي (المخطوط) ٤٥٧/٦.
٤٣. الإيضاح ٤٧٦/٢.
٤٤. ارتشاف الضرب ١٠٠/١.
٤٥. النشر في القراءات العشر ٢٠٢/١.
٤٦. الدراسات اللهجية ص(٣١٣).
٤٧. دراسات في فقه اللغة ص(٢٨١)، كذلك؛ فقه اللغة وخصائص العربية ص(٤٩).
٤٨. شرح السيرافي (المخطوط) ٤٦١/٦-٤٦٣.
٤٩. الأصوات اللغوية ص(١٢٢).
٥٠. ينظر: الدراسات الصوتية ص(١٣١)، كذلك: الأصوات اللغوية ص(١٢٣).
٥١. علم الأصوات: ص(١٠٩)، ينظر أيضاً: الأصوات اللغوية ص(١٢٣).
٥٢. الكتاب: ٢٨٤/٢.
٥٣. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص(٥).
٥٤. نفسه ٤٠٥/٢.
٥٥. شرح السيرافي (المخطوط) ٤٥٧/٦.
٥٦. شرح السيرافي (المخطوط) ٤٦١/٦.
٥٧. الأصوات اللغوية ص(١٢٢).
٥٨. أصوات العربية ص (٢٧-٢٨).
٥٩. نفسه: ص(٢٨).
٦٠. شرح السيرافي (المخطوط) ٤٦٣/٦.
- ٦١.
٦٢. ينظر: المقتضب ١٩٥/١، سر الصناعة ٦٠/١، شرح المفصل ١٢٨/١٠، شرح عيون كتاب سيبويه ص/٣١٥، الإيضاح ٢٨٦/٢، شرح الشافية ٢٥٩/٣.
٦٣. الأصوات اللغوية ص(١٢٠).
٦٤. الكتاب ٤٠٥/٢-٤٠٦.
٦٥. المقتضب: ١٩٥/١.
٦٦. سر الصناعة ٦٠/١.
٦٧. النكت ١٢٤٦/٢.

٦٨. المفصل ٢/٢٩٠.
٦٩. شرح المفصل ١٠/١٢٩.
٧٠. الإيضاح في شرح المفصل ٢/٢٨٦.
٧١. شرح الشافية ٣/٢٥٩.
٧٢. شرح السيرافي (المخطوط) ٦/ ٤٥٧.
٧٣. نفسه ٦ / ٤٦١.
٧٤. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص(١٢).
٧٥. دروس في علم أصوات العربية ص(٣٤).
٧٦. العربية الفصحى ص(٢٠٠).
٧٧. جهور علماء العرب في الدراسات الصوتية ص(٤٣).
٧٨. الأصوات عند سيبويه ص(١٢٣).
٧٩. محاضرات في اللغة ص(١٢٣).
٨٠. التفكير اللغوي عند العرب قبل سيبويه ص(١٥٧).
٨١. أصوات اللغة العربية ص(١٣٨).
٨٢. في حركات الحنجرة للحروف ص(٩٦).
٨٣. نفسه ص(٩٦).
٨٤. جرس اللسان ص(ب).
٨٥. في حركات الحنجرة ص(٩٨).
٨٦. جمهرة اللغة ١/٣١١.
٨٧. الموسيقى الكبير ص(١٠٦٦).
٨٨. أسباب حدوث الحروف ص(١٠).
٨٩. رسالة اللثة ص()
٩٠. جهود العرب في الدراسات الصوتية ص(٨٦).
٩١. سر الصناعة ٦/١.

المصادر والمراجع..

١. إرتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس، الطبعة الأولى، مطبعة النسر الذهبي ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٢. أسباب حدوث الحروف، الرئيس أبو علي الحسين بن سينا (٤٢٨هـ)، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
٣. أصوات العربية بين التحول والثبات، الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ١٩٨٩ م.

٤. الأصوات عند سيبويه، الدكتور عبد الرحمن أيوب - أبحاث أقيمت في ندوة هيئة التدريس، قسم اللغة العربية كلية عبد الله بايسيرو - كانوا الجزء الاول ايار ١٩٧٥م.
٥. الأصوات عند سيبويه، الدكتور كمال بشر مجلة الثقافة السنة (٢) العدد (٢١) القاهرة ١٩٧٥م.
٦. أصوات اللغة العربية، الدكتور عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٧. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧١م.
٨. الايضاح في شرح المفصل، الشيخ أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بإبن الحاجب النحوي (ت هـ)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢م،
٩. جرس اللسان العربي، الجزء الاول - الدكتور جعفر ميرغني، الخرطوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٨٥م.
١٠. جمهرة اللغة، إبن دريد (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت - دار العلم للملايين ١٩٨٧م.
١١. جهود العرب في الدراسات الصوتية، الدكتور كمال بشر - مجلة قافلته الزيت المجلد (٢٤) العدد (٥) الرياض ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
١٢. جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية، الدكتور إبراهيم أنيس مجلة مجمع اللغة العربية الجزء (١٥) القاهرة ١٩٦٣م.
١٣. التحديد في الإتيان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الاندلسي (ت ٤٤٤هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدوري حمد. ساعدت جامعة بغداد على طبعه ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤. التفكير اللغوي عند العرب قبل سيبويه، فتحي محمد جمعه، إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين، جامعة القاهرة - كلية دار العلوم ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م - دكتوراه .
١٥. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الدكتور غانم قدوري حمد، مطبعة الخلود - بغداد- ١٩٨٦م.

١٦. دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨ م.
١٧. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، نقله إلى العربية، صالح القرمادي، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، طبع أوفست الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٦٦ م.
١٨. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد - بغداد ١٩٨٠ م.
١٩. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحان، دمشق ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م.
٢٠. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الإسترابادي (ت ٦٨٨هـ) تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٨ هـ.
٢١. شرح عيون كتاب سيبويه، أبو نصر هارون بن موسى القيسي المجريطي القرطبي (ت ٤٠١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه، الطبعة الأولى، مطبعة حسن - القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
٢٢. شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، ج ٦ (٦٥١) ورقة رقم (٥٢٨) نحو تيمور، مصورة عن النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية .
٢٣. شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبي - القاهرة.
٢٤. ٨٧- شرح الواضحة، بدر الدين الحسن بن قاسم المشهور بابن أم قاسم (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار القلم-بيروت .
٢٥. شرح المراح في التصريف، بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) حققه وعلق عليه: الدكتور عبد الستار جواد، مطبعة الرشيد - بغداد ١٩٩٠ م.
٢٦. فقه اللغة، الدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة الخامسة، مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢ م.

٢٧. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٢٨. في حركات الحنجره، الدكتور جعفر ميرغني، المجله العربيه للدراسات اللغويه المجلد (٢) العدد (١) الخرطوم ١٩٨٣م.
٢٩. في التطور اللغوي، الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥م.
٣٠. في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة - المطبعة الفنية الحديثه - القاهرة ١٩٧٣م.
٣١. القراءات القرآنيه في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور عبد الصبور شاهين، دار القلم - القاهرة ١٩٦٦م.
٣٢. قوانين المقابلات الصوتيه في اللغات الساميه، الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع اللغة العربيه - الجزء الخامس والسبعون، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٣. العربية الفصحى، هنري فليش، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية - دار المشرق - بيروت ١٩٨٦م.
٣٤. علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسه : الدكتور عبد الصبور شاهين، مطبعة التقدم - القاهرة ١٩٧٧م.
٣٥. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، أ. شاده، محاضرة ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية ونشرت في صحيفة الجامعة المصرية، السنة (٢) ١٩٣١م، العدد (٥) ص ٣-١٩، والعدد (٦) ١٣-٢٦.
٣٦. علم اللغة العام، الأصوات، دكتور كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧٥م.
٣٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي. دار الرشيد للنشر، بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٨. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر القاهرة، المطبعة الاميرية ببولاق ١٣١٦هـ.
٣٩. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، مطبعة النجاشي الجديدة - الدار البيضاء بدون تاريخ.

٤٠. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمه، عالم الكتب - بيروت.
٤١. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: الدكتور حسن هندأوي، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٤٢. محاضرات في اللغة، الدكتور عبد الرحمن أيوب مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٦م.
٤٣. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية - مطبعة المدني - القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٤. المفصل في علم العربية، للزمخشري، عنى بنشره: محمود توفيق، مطبعة حجازي بالقاهرة دون سنة طبع.
٤٥. الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبه، مراجعه وتصدير : الدكتور محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
٤٦. مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.
٤٧. النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ) مراجعة علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
٤٨. النكت في تفسير كتاب سيبويه، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الكويت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.